التفسير الوافي المفيد لفهم القرآن المجيد

الدكتور فخر الدين قباوة

صائغ
تأسست ١٩٤٤

مكتبة لبنان ناشرون

التفسير الوافي المفيد
لفهم القرآن المجيد

تأليف

الدكتور فخر الدين قباوة

مكتبة لبنان ناشرون

بسم الله الرحمن الرحیم

مكتبة لبنان ناشرون ش.م.ل
زقاق البلاط - ص.ب: ١١-٩٢٣٢
بيروت - لبنان
website: www.ldlp.com
e-mail: info@ldlp.com
وكلاء وموزعون في جميع أنحاء العالم

الطبعة الأولى ٢٠١٢
ISBN 978-614-422-000-9
طبع في لبنان

خطبة المفسِّر

حمدًا لله وافيًا بنعمه ومفيدًا رحمته ودافعًا لنقمه، كرّمنا بأحسن تقويم وأوحى إلينا القرآن العظيم وهدانا الصراط المستقيم، ويسّر لنا تلاوته وتفهّم معالم من آياته البيّنات وتفسيرها للأبناء والإخوة والأخوات وتوضيح ما فيها من العقيدة والشريعة والعلوم والعظات، والصلاةُ والسلام الوافيان على نبي الهداية والرحمة والبيان، والمفيدان لنول الرضا والشفاعة والغفران، بلّغنا الرسالة بكل إخلاص وصدق وإحسان، وفسّر لنا علمًا وعملًا ما فيها من دقائق المعاني والعرفان، ورضي الله عن الصحابة الكرام والتابعين الأفاضل لِما يسّروا لنا من متابعة التفسير قولًا وفعلًا بآثارهم تنير سبيل الفهم والتوجيه والعمل.

وبعدُ، فالأعمال الصالحة للمسلم كريمة عند الله الغفور الشكور، ومن أكرمها خدمةُ القرآن العظيم بالحفظ والفهم والتفسير والاستجابة لِما فيه من الهداية والتوجيه. وقد تبارى السلف الصالح في ذلك فخلّفوا لنا زادًا غنيًّا بما فيه من صدق الإيمان والطاعة والمحبة والعطاء، ونحن نعيش على فضائل ذلك في كثير من ميادين الحياة الطيبة الزكية، إذ لولا ما تركوا لنا من نقولهم للمأثور وجهودهم في التفسير لتعذر علينا فهم الكتاب الكريم، ولأخذنا منه ما تسوّغه الأهواء والشهوات وتردَّينا في تخبط بين الظلمات.

فقد لزم أولئك الأطايب خِدمة هذا الكتاب المبارك في جميع حقوله ومناراته، ورأوا من الواجب على كل عالم أن يقدّم خبرته في ذلك، ليكون استمرار التفسير مع الزمان والمكان، يستوعب المستجِدّات من العلوم والمعارف والتجارب والاكتشافات الباهرة والأحداث الخفية والظاهرة، ويغذّي حاجات الأُمّة ويمدّها بالهداية والتيسير والأعمال الصالحة والنيّات الخالصة والأقوال الطيبة إلى يوم الدين.

نماذج التفاسير:

لذلك توالت في التاريخ أشكال وصور ومستويات واتجاهات مختلفة من التفاسير، فيها المختصر المبسط مع الواسع المستفيض والموجز المتوسط، وفيها التوجّهات المذهبية والعلمية المتباينة كالاهتمام بالتاريخ أو اللغة أو الإعراب أو الأحكام أو البلاغة أو الإعجاز أو العلوم أو الوعظ والإرشاد. وقد يكون في بعضها الجمع لكل ذلك أو لبعضه مع التفصيل والتبسط في العرض والاستدلال والبيان.

وهذا يعني أن ما خلّده العلماء الأفاضل يزوّد المسلمين بتأمين متطلّباتهم في جميع الحقول العلمية والمِهْنية والاجتماعية والمذهبية والسياسية، ويقدّم لهم سبل الفهم والتفكير والعمل بيسر وتوفيق، إذ كانت تلك المصنّفات يأخذها الطلّاب عن شيوخهم مشفوعة بالتوضيح والبيان والتوجيه إلى الصواب.

غير أن وسائل الطباعة والتسجيل الآلي والتصوير والنسخ وتغذية الأجهزة المتداولة في عصرنا هـذا وسّـعت انتشار كتب التفسير بين أيدي الناس، ولم تيسّر لهم تلقّي ما فيها عن الشيوخ، فتعسّرت عليهم الاستفادة الحسنة من الكتب المختلفة المشارب، ولا سيّما الذي هو مِمّن لم يتقن أدوات الفهم للمـستويات المـذكورة قبل، فأصبح يتعذر عليه استيعاب المقاصد بين التفصيلات والخلافات والتوجّهات المتباينة.

قد يقال: في الموجزات من كتب التفسير ما يفي بذلك ويغني عـن المطـوّلات والمفـصّلات. والجـواب أن تلـك الموجزات غالبًا ما تقتصر على توضيح بعض المفردات والعبارات، وتترك البـاقي لأنـه معـروف بـين النـاس في عهـد المفسّرين، فيكون في هذا إغفال كثيرٍ مما يتمم الفائدة ويوفي بالمراد، إضافة إلى أن ما هو يسير في عصر أو بيئة يكون عسيرًا في زمان أو مكان آخر، وخاصة ما نعانيه في هذه الظروف العصيبة من التجهيل والتضليل والإفساد.

فالأجيال المسلمة اليوم في ظل الغزو والطغيـان وهيمنـة المفـسدين بعيـدة في دراسـتها عـن مناهـل العلـوم الإسلامية، تُغذّى بالمعلومات المشوّهة والمعارف السطحية الفارغة والثقافـة المخرِّبـة للعقيـدة والعبـادة والعمـل، والخالية من معايير الصحة في الفهم والتفكير والسلوك. ولقد استشرى فينا تلويث إنسانية الإنسان وبلبلة التـدبر والإدراك والعواطف والأذواق والقيم والألسنة والتوجّـه في كل سـبيل، لنعـيش في حظـيرة التبعيـة لعبيـد عبيـد الشيطان، وما بقي في المسلم الغضّ قدرة على خوض كتب التفسير التراثية والاستفادة منها بوعي وكِفاية.

ولهذا حاول الزملاء المعاصرون لنا أن يختـصروا كتـب التفـسير أو يجمعـوا مختـصرات لبعـضها أو يختـاروا مصنفات منها لتمكين الناس من التناول والاستفادة المرجوّة، ورافق ذلك محاولات موجزة أو مصغّرة كمـا جـاء في «تفسير البراعم» وأمثاله. وهي مفيدة بلا شك. غير أنها لا تقدم الـزاد المناسـب لجمهـور النـاس في هـذه الأجـواء الموبوءة، فلبث الفهم للنص القرآني لديهم محدودًا بجزئيات مما يحفظون وباختيار المصنِّف وطـابَع مـشربه ومزاجـه وثقافته ومستوى تفكيره، ولم يستطيعوا استيفاء حاجاتهم الراهنة.

وقد كنتُ أعاني بعض هذه المواقف والتجارب في سنوات الشباب، وأجد الصعوبات الكثيرة فيما أحمله ويحمله زملائي وطلّابي من عجز وجهل وبُعد عن تدبر الآيات المباركات بدقة ووضوح. حتى إنني في «دار المعلمين الابتدائية» منذ نصف قرن ونيّف فاجأني أحد الزملاء -وهو حفيد للشيخ عز الدين القسام- بأنه يستغرب وصف الأرض في القرآن الكريم بأنها بساط ممدّدة مسطحة، على خلاف ما هو معروف من كرويّتها. وقد حاولتُ توضيح ذلك له بـأن المراد هو تمهيدها وبسط سطحها المكوّر الكثير التحدب والوعورة واختلاف التضاريس وتباين القِوام لتيسير الحياة فيها، فصارت غير محدّبة ولا رجراجة ولا سيّالة بخلافٍ لِما عليه الحال في الكواكب الأُخرى.

وفي تلك الأيام أيضًا كان معنا ذات يوم على مائدة «دار المعلمين» للطلّاب الداخليّين أحد الزملاء الـساخطين على التوجّه الإسلامي، ونحن نسمع تلاوة آيات من الذّكر الحكيم، ولمّا ورد على آذاننا قول الله تعالى: ﴿ وَمَـرۡيَمَ ٱبۡنَـتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا ﴾ علّق عليه باستغراب ما يوحيه هذا النفخ «فيه»، إذ لم يكن يعلم ما ذكره المفسرون عن ذلك، من أنه كان في فتحة العُنق من قميصها لينزل إلى مكان الحَمْل، كما جاء التعـميم

في الآية الكريمة الأُخرى: ﴿ والَّتِي أحصَنَت فَرجَها فنَفَخْنا فِيها مِن رُوحِنا ﴾.

وكنت خلال ذلك أتلقى بعض التفسير في مجالس للشيخ عبد الفتاح أبي غُدّة - رحمه الله - مع شيء من التوجيه والرعاية لفتح أبواب التدبُّر والدراية. وإني لأذكر أنه عندما وصل إلى سورة «النصر» أوردَ أنها نزلت بمنًى في حجّة الوداع وبسطَ ما فيها من مباركة الفتح والنصر ودخول العرب في الدين الحنيف، مع الأمر بالتسبيح والحمدِ على ذلك والاستغفارِ تعبدًّا وطاعة وتنبيهًا للأُمّة وطلبًا لتحقيق الرحمة ورفع الدرجات يوم القيامة، ثم تساءل: ألا ترون في هذه السورة ما يشير إلى غير ما ذُكر؟

لم يستجب أحد من الحاضرين لشيء من البيان، فقلتُ على عجلٍ شِبهَ ما يلي: «إن في السورة ما يُشعِر بدنوّ وفاة النبي ﷺ، أي: قد أدّيتَ - أيها الرسول الكريم - تبليغ الرسالة بوفاء وأمانة وإخلاص. فاستعِدَّ للقاء المولى تعالى»، فسَرَّ الشيخ الأكرم بهذا وأيّده بما كان من ابن عباس ﷺ، في حديث أخرجه البخاري والترمذي وآخرون.

ذلك أن أميرَ المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ سأل ذات يوم الصحابة ﷺ عما يفهمون من هذه السورة، فقال بعضهم: «أُمرنا أن نحمد اللهَ ونستغفره إذا نُصرنا وفُتح علينا»، وسكتَ بعضهم فلم يقل شيئًا. قال ابن الخطّاب: أكذا تقول، يا بن عبّاس؟ فأجابه: «لا، ولكنّ الله أخبر نبيّه ﷺ حضور أجله»، وقرأ السورة إلى آخرها، فقال عمر ﷺ: واللهِ، ما أعلم منها إلاّ ما تَعلم.

وعندما عرض شيخنا الفاضل لسورة «**الكافرون**» استوقفَنا يتساءل عن المراد من تكرار النفي على لسان النبي ﷺ أولًا بالفعل «**لا أعبُدُ**» وثانيًا بالمبتدأ والخبر «**لا أنا عابِدٌ**»، فلزم الحضورُ الصمتَ، وأجبتُه بما أتعلّم من الأصول النحوية حينذاك أن الفعل المضارع هنا يفيد نفي الحدوث في زمن معيّن، والجملة الاسمية تفيد ثبوت النفي إطلاقًا دون قيد زماني، مع التوكيد لِما جاء في الفعل المضارع أيضًا. وقد استحسن فضيلة الشيخ ذلك وأثنى عليه.

وكان على هذا أن كُلِّفتُ تفسيرَ بعض الآيات الكريمة لزملائي وطلابي، كما يكلّف كثير من المعلمين والأساتذة الحاملين شهادات علمية قاصرة، فلاحظت في المخاطَبين وفي نفسي أن تلك الحال التي ذكرتها قبلُ من السطحية والقصور تشمل معظم شبابنا من المسلمين، يجهلون تفسير كثير من الآيات فيفهمون منها ما يخطر لهم، لأنهم اطّلعوا من معاني القرآن العظيم على بعضٍ بفهم مزاجي مشتّت كما فرضتْ علينا توجيهات الغزاة وربائبهم في مناهج التعليم الشرعي وغيره، ولم يتيسّر لهم الاطّلاع الوافي بالمعاني البسيطة لجميع النظم الكريم، فكانوا بعيدين عن التدبّر الدقيق للآيات المباركة فتبدو منهم مواقف من أمثال ما ذكرتُ.

فهم لم يتابعوا بأنفسهم سماع التفسير من العلماء في المساجد، إضافة إلى ما التقطوه في المدارس وبعض المناسبات، وعاشوا مع تلك المعلومات القاصرة يفهمون ما يقرؤون أو ما يُتلى عليهم بأشكال مبعثرة غائمة قريبة من الضلال إن لم تكن إيّاه. ولو تسنّى لهم ما يسّره الله للدارسين المتقنين، من مجالسة العلماء في منازلهم والمساجد لمتابعة تمام التفسير وكفايته - وهو ما لا يُقرّه المستعمرون وأنصارهم - أو كان لديهم كتاب يلبّي الحاجات العارضة بسرعة ودقة ويسر تناول، لاستوفَوا حاجاتهم من البيان ولم يتلجلج في صدورهم مثل تلك التُّرّهات والأباطيل.

التفاسير الميسّرة:

لعلك تقول: قد لاحظ العلماء هذا الجانب من القصور والحاجات في جميع العصور، واستوعب القدماء منهم والمتأخرون والمحدَثون بما صنفوا من المختصرات زادًا يفي بالمراد، كتفسير ابن عباس ومجاز القرآن لأبي عبيدة وزاد المسير لابن الجوزي والوجيز للواحدي وتفسير الراغب الأصفهاني والواضح مختصرًا لتفسير الرازي ومدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي وتفسير المريسي شرف الدين والتسهيل لعلوم التنزيل لابن جُزيّ وتفسير الصفوي ومختصر تفسير الطبري للتجيبي والساقية لأبي حيان النحوي وتفسير الجلالين ومختصر تفسير ابن كثير.

وكذلك ما كان من المعاصرين لنا في مصنفات: كلمات القرآن تفسير وبيان والتفسير الوجيز لكتاب الله العزيز ومصحف الشروق المفسَّر الميسَّر وصفوة التفاسير والمصحف الميسَّر وأيسر التفاسير والتفسير السهل الميسر والمختار من تفاسير القرآن الكريم والمختصر في تفسير القرآن الكريم وتفسير البراعم ودُرّة التفاسير وتفسير أساس البيان، وبعض ما عُلِّق على سور خاصة من هذا الكتاب العظيم، وما كان في الكتب المدرسية لِما يسمى: التربية الدينية.

والجواب أن هذه الجهود الكريمة قرّبت، بلا شك، إلى الناس بعض مقاصد القرآن الكريم ويسرت لهم سبيل فهم شذرات منه، ولكن لمّا كان مصنّفوها يختارون ذلك البعض بحسب مستوى تفكيرهم وحاجة مَن يخاطبون ممّن حَولهم، كما ذكرنا قبل، ويفسرونه أيضًا تبعًا لهذا بعبارات عامّة مختصرة قد لا تلتزم مقاصد السياق الدقيقة لنصوص الآيات الكريمة، ولم يكن لهم منهج واضح محدد يستهدون به هم ويستهدي به القُرّاء، فقد غابت معالم غفيرة عن المنظور والتفكير والتدبر.

ثم أنتَ ترى أنه كثيرًا ما امتزج في المصنّفات الواسعة بين أيدي أصحابها الأفاضل تفسيرُ المفردات بالمعاني العامة والخاصة، وإيرادُ القراءات المختلفة مع تفسيرها، وبسطُ مسائلِ الإعراب والصرف ومعاني الأدوات، ومقتضياتِ الأحكام الشرعية وأسباب النزول، والخلافاتِ فيما يعرض من تلك المسائل. ولذا كانت الاستفادة من صنيعهم للقارئين الناشئين العارفين للعربية محدودة لا تسد حاجاتهم في جميع المستويات وكل زمان ومكان.

ولذا أيضًا كنتُ منذ عشرين سنة اقترحت على رجالات التعليم العالي في السعودية ، عن طريق عميد كلية العلوم العربية والاجتماعية في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالقصيم ـ أكرمه الله ـ إصدار مصحف مفسّر كما يلي:

بسم الله الرحمن الرحيم

سعادة الدكتور سليمان العودة عميد كلية العلوم العربية والاجتماعية في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالقصيم .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،

وبعد حمد الله والصلاة على رسوله الكريم ، فإن المملكة العربية السعودية تحمل وحدها ، بين الدول الإسلامية ، مسؤولية الدعوة لدين الإسلام ونشر تعاليمه ومحاربة الزيغ والضلال في صفوف المسلمين وغيرهم . وذلك بوسائل الإعلام المختلفة ، وتشجيع العلم ونشر الكتب الإسلامية ، وتأسيس المعاهد والجامعات في المملكة وغيرها ، وندب الدعاة والعلماء إلى الأقطار الإسلامية ، وتوعية ضيوف الرحمن في مواسم الحج والعمرة بالتوجيه وإهداء المصاحف الشريفة.

وقد ساهمت جامعة الإمام بنصيب وافر في هذا الميدان ، وذلك بإنشاء كليات العلوم الإسلامية وإعداد الدعاة والعلماء والباحثين ، واستضافة أبناء المسلمين من الأقطار المختلفة لتزويدهم بالعلم والمعرفة والتوجيه السديد .

ولعل هذه الخطوات المباركة والجهود الخالصة تكون ناجعة أكثر وأوضح ، إذا توجت بتفسير موجز للقرآن الكريم ، يكون في هامش المصاحف الشريفة التي توزع على الطلبة والمدرسين والوافدين والحجاج ورعايا المسلمين في العالم ، ليكون اطلاعهم مبنيًا على فهم واضح للنص القرآني ، وتكون الاستفادة محققة لما يرجى منها في الهداية والصلاح.

وأرى أن جامعة الإمام المباركة أولى من يقوم بهذا العمل الكريم ، لما في حوزتها من اهتمام بالدعوة والإرشاد ، وما في فروعها وكلياتها من علماء يسعدهم خدمة القرآن الكريم والدين الحنيف.

ولكي يكون هذا التفسير محققًا لما ذكرت ، أرى أن يتسم بما يلي :

١ـ اعتماد المشرب الصافي لمذهب أهل السنة والجماعة في فهم الآيات الكريمة بألفاظها وعباراتها ومقاصدها.

٢ـ تفسير نصوص العقيدة والعبادة والمعاملات بأيسر السبل ، بعيدًا عن الخلافات

المذهبية، ليسهل توزيعه في الأقطار الإسلامية وغيرها، وتتحقق الغاية المرجوة منه. ويستطيع جميع المسلمين على اختلاف مذاهبهم الاستفادة منه.

٣ – الاكتفاء بتفسير المفردات الغريبة والعبارات المحتاجة إلى إيضاح فقط، بإيجاز ودقة؛ لئلا يشغل القارئ عن النص القرآني ومتابعة تلاوته وفهم مقاصده.

٤ – توزيع تلك التفسيرات للمفردات والعبارات في هامش المصحف، تبعاً لأرقام الآيات فيه، مكونة جملاً مترابطة وعبارة واحدة في كل آية؛ لتؤدي فكرة واضحة وأسلوباً عربياً سليماً.

٥ – إدراج أسباب النزول الصحيحة والأخبار التاريخية الثابتة في عبارات التفسير للآيات المقتضية ذلك، بأسلوب التفسير المبسط، بعيداً عن الإسرائيليات والأخبار الموضوعة، والتفصيلات غير الضرورية.

٦ – وضع هذا التفسير أولاً باللغة العربية، لينشر في هامش المصاحف، ثم ترجمة معانيه باللغات المتداولة بين المسلمين، وإلحاقها بذلك الهامش على أن يكون مع كل منها اللفظ القرآني المفسَّر، حتى يتيسر لغير العربي متابعة المعاني والمقاصد.

ويمكن تنفيذ ذلك – إن شاء الله – بتشكيل لجنة مصغرة من علماء جامعة الإمام العريقة، لإنجاز التفسير العربي، ثم عرض ما أنجزوه على لجنة علمية تقر نشره وتوزيعه. ثم تكوين لجان متعددة تبعاً للغات التي يترجم إليها هذا التفسير.

وتقديراً لجهود الجامعة المباركة، وبذل إدارتها وعلمائها، أرى أن يكون اسم هذا التفسير «تفسير جامعة الإمام».

نسأل الله – تعالى – إخلاص النية وتسديد الخطا وإنجاح القصد. والحمد لله أولاً وآخراً.

الأستاذ الدكتور

فخر الدين قباوة

١٥-١١-١٤٢١

فجاءني من كبار المسؤولين في التعليم العالي جواب بالشكر والتقدير، مع الاعتذار عن تحقيق ما اقترحتُ اكتفاء بوجوب توزيع المصاحف المجردة من كل تفسير. وهو فيما أرى جريٌ مع توجيهات خفيّة.

وعلى الرغم من هذا، فإنه لمّا صدر منذ عشرة أعوام في المملكة العربية السعودية عن وزارة الشؤون الإسلامية مصحف شريف تحت عنوان «التفسير الميسَّر»، وقد أعدّته نخبة من العلماء هناك، كان فيه إشارات مذهبية قاصدة وعبارات مهلهلة وتفسيرات غائمة وأفهام وأساليب ومستويات ومشارب متفاوتة، مع نثر لعلامات الترقيم عشوائي وترقيم للآيات من أوائلها خلافًا لما هو في المصحف المرافق لها، تضع القارئ في حيرة وتشتت واضطراب. ومع ما في هذا من التسيب الظاهر وتفاوت التعبير والهلهلة والقصد المذهبي، فإن التوجيهات الخفية أيضًا لم تطمئنّ إلى توزيع مصاحف مفسَّرة على الناس، أيًّا كان شكلها، فأصدرت أمرها بحفظ النسخ في المستودعات، كما بلغني عن بعض الإخوة الكرام، لمنع تداول ما قد يفيد منها.

والحق أن ما اقترحتُه وأردت صدوره عن المؤسسات المتفرغة لأمثاله هو عبء ثقيل جدًّا يقتضي تضافر جهود المختصين المخلصين، لتقديم ما يسد الفراغ الكبير في عالم التفسير. ذلك لأن الإنسان، أيًّا كان، عاجز عن الدنوّ من المواجهة التامة لكلام العزيز القهار، وعن الاطمئنان للتعامل وإياه في ميدان التفسير، من غير نقص أو قصور. فمهما أطال العالم النِّحرير وقوفه أمام النص القرآني يتحرّى دقائقه ويستجلي حقائقه، ثم استخلص منه زادًا عظيم القدر واسع المدى بعيد العمق دقيق السبر، يجدْ أن ما حول ذلك من العالَم الأكبر والأبعد والأعمق هو فوق ما تحصّل لديه، ولسانُ الحال يخاطب بكل بيان: هل لك في البحث والتنقيب من مزيد؟

ثم إن الباحث العالم الكبير الكبير، بينما هو في غمرة التفهم للدلالات المعنوية القريبة أو البعيدة، إذ تشغله المقاصد المتعدّدة، من المعلومات والمعارف والأحكام والأخبار والعِظات والإلزامات الحوارية، ثم تبهره الظلال الوارفة المترامية الأطراف من الإشارات والمقاصد العميقة المدى، وتتوالى عليه الصيغ المتجددة المفاهيم والتوجّهات، والتراكيب المتعددة الأشكال في إطار موحد، والسياقات المتميزة بالأناقة والبيان والبلاغة والإعجاز، والصور الجمالية الأخّاذة، والعلاقات المتميزة العَقد والارتباط. أضف إلى هذا وذاك وذلك كله وفوقه أيضًا ما يتوالى من الحكمة الربانية المطلقة، في إلقاء التوجيهات والآداب والعِبر بالأساليب المختلفة الألوان، مع حصر تفصيلات الماضي الغابر والحاضر المديد والمستقبل البعيد البعيد غير المتناهي بما فيها من الأحداث والأفعال والأقوال والعجائب، حصر هذا كله في حيز واحد متّسق وموضوع متنام متجدد.

وإنك لتلتمس شيئًا من ذلك الانبهار، إذا استحضرتَ ما كان يعانيه الرسول ﷺ حين يتلقّى آيات القرآن الكريم من جبريل، عليه السلام. لقد كان يصيبه الكرب الشديد، فيربدّ له وجهه المشرّف، وينكس رأسه هو ومن يكون حوله من الصحابة. وإنه ليوحَى إليه، وهو على ناقته، فيضرب حزامَها بقدميه من ثقل ما يوحى إليه. قال عليه السلام: «أحيانًا يأتِينِي مِثلَ صَلصَلةِ الجَرَسِ، وهُوَ أَشَدُّ عليَّ»، وقالت السيدة عائشة، رضي الله عنها: «ولقد رأيتُه يَنزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد، فينفصم عنه وإنّ جبينه ليتفصّد عَرَقًا».

فإذا كان هذا شأن النبي الأعظم ﷺ وقد أُعدَّ إعدادًا ربّانيًّا، لتحمُّل الرسالة واستيعاب ما تنطوي عليه من المهامّ الجسام، ثم تلقّى ذلك وكابده آلاف الأحيان، فألِفه واشتدّ له عوده وتهيّأت له نفسه روحًا وعقلًا وإدراكًا وإحساسًا وجسدًا، فكيف بأمثالنا من العباد المثقلين بالضعف الإنساني، والأُلفة لبسائط العيش ولبائن المُهِمّات؟ أجل نحن، بلا شك، أعجز وأضعف ودون احتمال تلك المُهِمّات العظام. فقد تعالى النص الإلٓهي المجيد أن يكون ممّا أَلِفنا من النثر الذي نتلقّاه في ميادين الأدب، أو رسالة أو مفاخرة أو حكمة أو تغنيًا بجمال... وتعاظم أن يكون كالشعر الذي نستحضره في فنونه وضوابطه وضروراته وعموده.

فأنت مهما تعالمت وتفاصحت، محاولًا سبر شيء من أبعاد النظم القرآني الكريم، وجدت ما حصّلته بين يديك جدولًا دقيقًا رقراقًا، بالنسبة إلى عوالم من المحيطات الربانية الغامرة. إنك لتجمع وتحصّل الكثير الكثير، ثم لا يكون إلّا القليل القليل في رحاب الأمداء والآفاق المطلقة العِنان. وإذ ذاك تدرك معي أنك ما زلت في الساحل الرقراق، وما أبعدَ أعماقَ الأعماق! ولهذا كنتُ وما زلت على تهيّب واستعظام وانصهار، خلال متابعتي للعمل في دنيا تصنيف «الجلالين» الكريمين، محققًا ومعلّقًا على ما صنّفاه، واعترفت هناك للقارئين الكرام أنني لست من المفسرين.

تلك الحال هي حالك أيضًا عندما تريد أن تصنف تفسيرًا عامًّا للباحثين والدارسين والعلماء، وأنت مطلق اليدين تخوض ميادين التفاسير الغفيرة بما فيها من خلافات في أسباب النزول والقراءات وبيان المفردات والمعاني العامّة والخاصّة والأحكام الشرعية والإعجازات العلمية والبيانية وتميُّزات الإعراب والصرف ومعاني الأدوات، تختار من ذلك ما يناسب نهجك المرسوم وغاياتك النبيلة الفضفاضة. فكيف بك إذا أردت أن تخاطب الناس عامّة على قدر عقولهم وثقافاتهم، وفيهم من هو في محدودية من التلقي والمعارف وأدوات الفهم والتدبر والاستفادة؟

ههنا أنت مطالب بالتزام تلك المستويات والقدرات والمعلومات والأدوات، تختار من قواميس الناس ما يناسب ذلك من الألفاظ والتراكيب القريبة المنال اليسيرة الأبعاد الوافية بالمراد، في تفسير المفردة وتأدية المعنى القريب للعبارة والآية بشكل مفيد لهذا القارئ الكريم. وعسير جدًّا بل من المحال أن تستطيع استيعاب النص الربّاني بهذه الأساليب البسيطة المحدودة الأبعاد المقيّدة بمعارف هؤلاء المُبلبَلِين بمناهج التعليم الاستعماري الخبيث.

التفسير الوافي المفيد:

نعم ذلك حقٌّ لا مِراء فيه، وليس لك أن تحلق في فضاء التأويلِ لدقائق المعاني وبعيد المقاصد أو الكشفِ للظلال الوارفة والهالات المتوهجة والتطلعات المتعالية. نعم أنت ههنا مقصوص الجناحين مقيَّد التفكير والتعبير، ولكن ما لا يدرك كلُّه لا يجوز أن يُترك جلُّه أو قلُّه، إذا مسّتنا الحاجة إليه في خدمة القرآن الكريم. فأجيال عصرنا وما بعده محتاجون جِدًّا إلى تقريب ما يتيسّر من بسائط معاني هذا الكتاب المجيد وقريب مقاصده وبركاته، وهم ضائعون في متاهات العَولمة بتلويث إنسانية الإنسان، وبلبلة العقول والضمائر والميول والأمزجة والقيم والمثُل والأخلاق والعلوم والمعارف والألسنة والعواطف والأخيلة والصناعة والزراعة والتجارة، وقوانين

الحكم والقضاء وأنظمة التربية والتعليم والجيش والمال وأساليب التعامل والسلوك والتفكير...

ونحن آثمون جميعًا، كلٌّ بحسَب مدى تكليفه ومسؤوليته وقُدراته ، إذا لم نقم بهذه الخِدمة الجُلّى لديننا وأُمّتنا وأبنائنا وبناتنا في هذا المعترك الحضاري الخطير. ومن ثَمَّ تبدّى لي أنا ـ العبدَ العاجز القاصر الضعيف ـ أن أدخل مع زملائي الميدان الذي يجولون فيه، وإن كنت قد صرّحت بأنني لست منهم، أن أدخل بينهم وأشاركهم السعي في خدمة الكتاب العظيم بما يرمّم ثُغُرات صنيعهم ويتمم الفائدة المرجوّة من التفاسير الموجزة، فوضعت نُصب عينيَّ الوفاء بتلك الحاجات، مستعينًا بالمولى ـ عز وجل - ومتّكلًا عليه.

فقد لمستُ فيما أصدرتُ من «تفسير الجلالين الميسَّر» و «المفصَّل في تفسير القرآن الكريم» نقاط الضعف من تلك الزاوية في مصنفات التفسير المختلفة ، إذ لم أقف في واحد منها على بسط لدلالات المفردات كلها وبيان لمعاني الآيات بإجمال، في خطاب واف بمتطلَّبات الأجيال المعاصرة ومناسب لقُدراتهم واستيعابهم ومغذٍّ لتعطشهم إلى الفهم و المعرفة والهداية والبيان. حتى إن «تفسير الجلالين»، وهو الشائع بين الدارسين والباحثين والناشرين أنه واضح دقيق يناسب أفهام جميع الناس، فسَّر الإمامان الكريمان فيه المفردات والمعاني، تبعًا لمستوى القُرّاء المخاطَبين في عصرهما. فهما يخاطبان علماء العصر وطلبة العلم بين أيدي العلماء، لا عامّة الناس. ومن ثَمَّ كان عملهما حصيلة مكثفة من خلاصات العلوم وقليل من التفاسير المشهورة، يوضح بعض المفردات والعبارات بما يناسب الغايات المقصودة، ويُغفل ما يسهل حينذاك علمه لدى المخاطَبين.

والواقع أن هذا المصنَّف الميمون لم يعد ينحصر بين العلماء وطلبتهم، بل ظنّه الناس في أيّامنا هذه عامًّا للجميع، وصار تداوُله شائعًا في جميع المستويات العلمية والثقافية والمِهْنية، فأصبح ما تُرك تفسيره غريبًا لدى جمهور القَرأة لا يُدرَك معناه بدقة ووضوح، وبقيت فيه ثُغرات من عسر فهم المصطلحات والإشارات إلى قراءات وأخبار ودلالات وأحكام ومذاهب وأعاريب. نعم إن هذا الجمهور يقرأ أو يسمع ما يعنّ له من ذلك، وكلٌّ ظانٌّ أنه يفهم المعاني والمقاصد، ولكنك إذا تتّبعت أفهام عدد من القارئين والسامعين هؤلاء تبين لك القصور والتناقض والإحالة.

وعلى هذا كان العزم للعمل في نهج يخدم القضية بالوفاء والدقة والكفاية، وانتهت الاستشارات الأخوية للأصدقاء الأكارم بأن يكون عنوان ما أردت **«التفسير الوافي للناشئة»**. وهو يقتضي تناول جميع النظم الكريم بالتوضيح لمفرداته ومعانيه العامة، في منهج محدّد وأسلوب ميسّر يوازي قدُرات الناشئة وزادهم الثقافي. أعني الذين جاوزوا حدود الطفولة وصاروا في الشباب، أي: ما بين الرابعة عشرة والثلاثين من العمر. وهؤلاء يملكون قليلًا من المعارف اللغوية والتاريخية والعلمية، وخطابهم في التفسير مقيّد بذلك ليقدّم الخِدمة المفيدة، إن شاء الله تعالى.

لقد رأيت أن أُميّز بين تفسير المفردات والمعنى العامّ للآيات الكريمة لتيسير التناول على القارئ. إذ إنه قد يحتاج إلى معنى كلمة من الآية أو إلى التدبُّر لِما فيها وفيما حولها من الدلالة العامة وحدها. وقد كان لهذا النهج سابق حضور في علوم القرآن، كالذي تراه مثلًا في: مجمع البيان و البحر المحيط وصفوة التفاسير والتفسير الوجيز.

ثم كانت بعض المصنفات قد اقتصرت على تفسير غريب القرآن، كما فعل: ابن عباس وأبان بن تغلب

ومؤرّج السدوسي ويحيى اليزيدي والنضر بن شميل وأبو فيد مرثد بن الحارث السدوسي وأبو عبيدة والأصمعي والأخفش والقاسم بن سلّام وابن اليزيدي وابن قُتيبة وثعلب ومحمد بن قادم وأبو سعيد السكري والأحول والمفضل بن سلمة وابن دريد ونِفطَوَيه وأبو بكر السجستاني وأبو عُبيد الهروي وفخر ـ الدين النجفي وأبو بكر أحمد ابن كامل والراغب الأصفهاني والمرزوقي ومكي القيسي ومحمد بن يوسف الكفرطابي ومحمد بن عبد الرحمن الخزرجي وأبو عمرو الزاهد وزين الدين الرازي وابن الجوزي وأبو حيان النحوي والسمين الحلبي وعلي بن عثمان الماديني والشيخ حسنين محمد مخلوف، وآخرون يتعذّر حصر أسمائهم.

غير أن البيان لمعاني المفردات، في أمثال هذه وما ذكرنا قبلُ، غالبًا ما اتسم بالتوسع وكثير من التعميم والاستطراد والتكرار والتفريع اللغوي أو الدلالي، بحيث يتعذر على القارئ تبيُّن الدلالة المعيّنة بين ما هو وارد في سياق آيةٍ ما وبين ما جرى من استطرادات التفسير وتعميمه وتفريعاته. ثم إن المعاني العامّة للآيات الكريمة ضاعت بين الحقول المختلفة في كثير مما بسطنا أمره قبل.

ذلك لأن التفسير للمفردة القرآنية يكون وافيًا ومفيدًا إذا عُبّر عنه بدقة وإيجاز وكفاية، على ما تحمله من الدلالة في موقعها ضمن الآية الكريمة بين الكلمات المحيطة بها، لأن سياق العبارة بما فيه من ألفاظ وتركيب وأدوات نحوية يقتضي دلالة خاصة قد لا تصحّ في موقع آخر. وعلى هذا يجب أن تُسرد معاني المفردات مدمجة بما أشكل من المعاني النحوية للأدوات كما بيّنّا بجانب النص المصحفي المتداول، خلال ما يرد منها في الآية المَعنِيّة دون توسع أو استطراد أو تفريع وتنظير أو خلاف. ولا بد من الإشارة إلى أن المراد بالمفردة هنا قد يكون تركيبًا لجملة أو أقلّ، بحسَب ما نتلقّى من عناصر النظم الكريم.

ثم يجب أن يرد التعبير عن الدلالة للمفردة في موضعها المحدّد من أخواتها التي حولها، وإن كانت قد فُسّرت في صفحة متقدمة أو ستفسّر في صفحة لاحقة، لأن القارئ الفاضل لا يستحضر ما كان قبلُ وما سيكون بعدُ، وهو في حاجة إلى البيان الآنيّ المناسب للسياق. وخلال ذلك الوفاء وتلك الإفادة يَفصل بين منثور التفسير للمفردات عطف بعضه على بعض في جمل متساوقة ليكون تفسيرها في الآية فِقرة واحدة شأن التعبير العربي القويم، ثم تَفصل بين الآيات أرقامُها متبوعة بفِقر تبدأ استئنافًا لتمييز بعضها من بعض، وتقع الأرقام في أواخر الآيات كما هي الحال في المصاحف الشريفة المتداولة، خلافًا لما وقع فيه الزملاء الأطايب، من عُجمة عمياء بتقطيع التعبير في جمل مشتتة متنافرة عوّدوا عليها الذوق العربي، وبتقديم الترقيم على تفسير الآيات فأوقعوا به القارئ في حيرة وضياع.

ومثل هذه الإجراءات المنهجية يحسن فيها أن تورد المفردات بألفاظها القرآنية، ليكون وضوح لدى القارئ الكريم في تتبع ما يريد. غير أن العلماء الأطياب أجازوا خلاف ذلك أحيانًا لِما يعرض من ضرورات التعبير والبيان، بغية أن يكون التفسير جملًا تامة في كل منها طرفان متقابلان وبينهما نقطتا البيان. فإيراد حروف الوصل مع المفردة مثلًا يوجب حضورها في التفسير أيضًا، وهذا يعرقل سياق الجمل المتعاطفة ويحمّل التعبير عنها

بتراكب المتشابهات من تلك الحروف، ولا مفر من استبعاد ما يكون به مثل ذلك لتنساب العبارات بوضوح واستقامة وطلاقة. وكذلك حال التصرف في بعض صور الإعراب للتراكيب والصيغ بقصد تدقيق البيان.

وبعد الانتهاء من تلك الإجراءات في تحديد الدلالات الفردية لألفاظ الآيات في الصفحة الواحدة، نستطيع أن نُجمل المعاني العامّة للنظم العظيم منها بما يناسب المخاطَبين أيضًا، في لمسات خفيفة بتفكير حاشد وتعبير مقتضب وإيجاز مكثف، مع إجمال هادف مقصوص الجناحين مقيّد التطلّعات، يُغفل التفاصيل الظاهرة للعِيان ويتجنب المقاصد البعيدة والدقيقة والتأويلات الظلالية والأبعاد الفكرية والنفسية والروحية المعتلجة في الأفئدة والضمائر، ولا سيما حين يطول تفسير المفردات ويضيق المجال على المعاني العامة. كل هذا مع التزام وجه واحد من تلك المعاني.

ثم يستطيع القارئ القاصد لمجالات جانبية من التوسعة والاستفاضة أن يستعين بمؤلفات التفاسير المشهورة، ليشبع تطلعاته وتوجهاته ومشاربه. ولو أنني حاولت تلبية تلك الرغبات وإشباع هاتيك التطلعات، بما لديّ من المعارف والوسائل والأداء في مخاطبة العلماء، لضاقت الأماكن المحددة في ذيول الصفحات، ولخالفتُ مرسوم النهج وحاجات المخاطَبين وشروط العمل القويم، إذ تكون قد اختلت المقاييس والمقاصد ودخلتُ مع هذا الاختلال فيما تعرّض له كثير من مصنّفي موجزات التفاسير. فما هكذا - ياسعدُ - تورد الإبل، وكلنا يعلم أنه لكل مَقام مقال.

أضف إلى ما ذكرت من طوابع الإجراءات أن هذه التفاسير للمعاني العامة يحسن توزيعها على فِقر تناسب الموضوعات الكلية والجزئية الواردة في النص الكريم، لا كما فعل الزملاء الأكارم بتجزئتها في كل آية على حِدة أو إدماج بعضها في بعض بشكل عشوائي. ثم من الواجب أن تضمَّن هذه الفِقر مختصرات لأسباب النزول الموثقة في مواقعها خلال عبارات الشرح لإتمام الفائدة من التفسير والبيان، مع تفنيد ما كان من دسائس الإسرائيليات والأخبار الموضوعة والأحاديث الضعيفة التي تسيء إلى المقدّسات ولا يجوز اعتماد ها في توجيه النص الربّاني المجيد.

ولقد استطعنا، بعون الله وتوفيقه، أن نستوفي أكثر هذا على ما وضعنا من النهج والتفصيل، ثم نظرنا فيه بمساعدة الإخوة الأطايب الملازمين لي منذ سنوات بمجالس قراءة «مغني اللبيب» - وهم من الضليعين بالعلوم الإسلامية والعربية - فأبدوا ملحوظات غفيرة حتى استقام عود الكتاب واتسمت قَسَماته بإشراق الوجه المبين. فجزاهم الله كل خير في الدنيا والآخرة، ولا سيّما الأستاذ محمد كلزية الذي راجع التفسير كله بعناية ودقة ووفاء.

ومن خلال مسيرتنا هذه، تبيّن لنا جميعًا أن تقييد العنوان بـ «الناشئة» فيه إجحاف بالموضوع وتضييق عليه، لأن ما تضمّنه التفسير الكريم لا يجوز حصر وظيفته في قِطاع الشباب، وهو يعمّ جميع القطاعات البشرية فيستفيد منها، إن شاء الله، القرّاء المثقفون وغيرهم ممن تجاوز الدراسة الثانوية أو الأساسية، كالعمّال والفلّاحين والمزارعين والموظّفين والتجّار والمدرّسين والمعلّمين والأساتذة والخطباء والوعّاظ والمفسِّرين والكُتّاب والمؤلّفين والباحثين والعاملين في مهن الحقول العامة والخاصة...

وهذا يعني أن يكون العنوان دالًّا على المضمون بدقة وكفاية، ليشمل من هو خطاب له ولا يقتصر على زمرة من القارئين. ومن ثَمّ صار التوجُّه إلى تعميم القصد بالدلالة على الوفاء وشمول الفائدة لتيسير فهم النص الرباني

العظيم، فأصبح عنوان «التفسير الوافي المفيد لفهم القرآن المجيد» أقرب إلى تعيين مضمون الكتاب ومدى خِدمته له وللمسلمين وغيرهم أيضًا. فلعله يكون سببًا لهداية من ضل عن السبيل أو غابت عنه معالم نصوص التنزيل، ولنا في ذلك أجر أو أجران من الله الكريم الجليل، برحمته ورضاه. وما ذلك بالقليل.

ولا بد من الإشارة هنا إلى أن ما يُذكر أحيانًا، من آلاف السنوات في تاريخ الأمم والأنبياء القدماء، هو مما أَلِفه الناس في المصادر المتداولة، وكثير منه مصدره الإسرائيليات المصنوعة وهي أباطيل من مزاعم يهود ومن نقل عنهم، فلا يجوز اعتمادها في البحث إلّا استئناسًا وتقريبًا للأفهام. ذلك لأن حياة الأمم القديمة والأنبياء القدماء تستغرق عشرات الآلاف والألوف من السنين أو أكثر. وإذا كان نوح ﷺ قد عاش حوالَي ألف سنة، ومَن قبله وبعده كان قريبًا من ذلك ، فلا عجب أن يكون للتاريخ الإنساني عمر مديد، لا تمثل المقولات الإسرائيلية منه إلّا أقل القليل.

وشبيه بهذا ما يذكر من أنساب قدماء الأنبياء، لأنه من مقولات اليهود أيضًا إلّا ما ندر وكان له خبر موثق. فسامُ: ابن نوح وهو أبو العرب كما جاء في الحديث الشريف، وهو أيضًا عادٌ نفسه وقبيلته إرم ذات العماد عنها تفرعت القبائل العربية وانتشرت فيما بين المحيط والخليج منذ الجاهلية القديمة جدًّا، فكان منها العدنانيون والقحطانيون والأحباش والبربر وترك خراسان والآراميون من مثل الأكّاديين والفينيقيين والسُّريان والعماليق والأنباط والأقباط... أما بنو إسرائيل فهم من بني حام ولا صلة لهم ببني سام، إلّا ما زعموه ليسوّغوا طغيانهم في بلاد العرب. فجدهم إبراهيم ـ عليه السلام ـ أُرسل إلى قومه وهم السُّومريُّون من الحاميّين.

وفي هذا تفنيد لما زعمه أحبار اليهود في التُّلمود مِن ساميّة سيدنا إبراهيم ونقضٌ للنسب المختلَق الذي صنعوه له ، وقال عنه الإمام النووي: إنه «مختلَف فيه ولا يصح في تعيينه شيء». وكذلك شأنُ جَدّتهم سارة زوجة إبراهيم ـ عليه السلام ـ هي ابنة عمه من قومه ومثلُهما إسحاق ويعقوب وزوجاتهما، وكذلك أيضًا شأنُ لغتهم المفتعلة من بقايا طُطمانيّات السُّومريّة ممزوجة بلهجات مستعجِمة بين رَطانات الأقباط والعماليق والكنعانيين.

أما هاجَر أُمّ إسماعيل الزوجة الثانية لإبراهيم فهي من العرب الأقباط. وعلى ذلك ولد ابنها إسماعيل وجاء إلى مكة في أول طفولته، فتلقّنا هو وأمّه الفصاحة وعاشا مع ذراريهما في هذه الأرض الطيبة، وكان منهما الحب والوفاء للعروبة ولغة القرآن العظيم. وهكذا ترى أن العربيةَ كانت معروفة من عهد سام ثم انتقلت خالصة إلى جدنا إسماعيل، ويتحقق لديك بطلان تقحم بني إسرائيل ولغتهم العِبرية بين الساميين والساميات.

وكذلك شأنُ ما يثيره بعض العلماء من زعم تعريب ألفاظ من القرآن الكريم. فقد تعرضوا لمجموعة منها واختلفوا في نسبتها إلى لهجات ولغات شرقية وغربية. والواقع أن ما ذكره هؤلاء العلماء من تلك المفردات هو لقبائل عربية ممن ذكرنا قبل، أو لأمم تأثرت لغةَ العرب ونقلت بعض المفردات إلى لغاتها بألفاظ أعجمية، فتوهم المذكورون ما ذهبوا إليه. وقد تعرض الإمام الشافعي لهذه المسألة من عروبة القرآن الكريم، وذكر أنه ليس فيه شيء إلّا بلسان العرب، وأن من قال غير ذلك فهو يصدر عن تقليد بدون حُجّة. نعم ثم نقول نحن: الحُجّة القاطعة في هذه المسألة أن القرآن العظيم كان في اللوح المحفوظ بلفظه قبل وجود اللغات وأهلها، وقد أُوحي كذلك بصفاءٍ عربي مبين ولا

صلة له بما ذُكر من لغات الأقوام المختلفة، وما جاء موهمًا خلاف ذلك كان منقولًا بالعُجمة عن العربية من قديم.

ومما له علاقة جوهرية بتفسير الدلالات والمعاني الكريمة أسبابُ النزول، أي: الحدث الذي كان سببًا لنزول النص القرآني، سواء أكان واقعة أم سؤالًا ألقي على النبي ﷺ. وهو أصل مهم في الفهم والتفسير الدقيقين، وإنما يؤخذ بالرواية والسماع ممن شاهدوا التنزيل ووقفوا على أسبابه، وبحثوا عن علمها وجدّوا في طلب ذلك. وتتحقق الصيغة الصريحة للسبب، إذا قال الراوي: «سبب نزول هذه الآية كذا»، أو إذا أتى بفاء السببية قائلًا: «فنزل»، بعد ذكر الحادثة أو السؤال. أما إذا قال: «نزلت هذه الآية في كذا»، فالعبارة تحتمل السببية وتحتمل تضمُّن الآية أحكام ما ذكر، من دون تعيين.

وقد كثر التأليف في هذا الفن من علوم القرآن، فمنه ما كان موثقًا صحيح الإسناد والرواية، ومنه ما كان أثرًا مرويًّا في كتب التفسير عن بعض الصحابة والتابعين وتابعيهم بدون توثيق وتحقيق. والأول هو المعتمد عند العلماء، على حين أن الثاني في قبوله نظر وتردّد. ويمكنك إدراك الفرق بين هذا وذاك، بمراجعة ما جاء في كتابَي: «الصحيح المسند من أسباب النزول» لمقبل بن هادي الوادعي، و«أسباب نزول القرآن» لعلي بن أحمد الواحدي.

وقد تتبّعتُ، بعون الله تعالى، تلك المواطن الصحيحة في المصادر المصنّفة لذلك وفي كتب السيرة والتاريخ والتفاسير المطولة، ونقلت ما جاء فيها من أسباب للنزول، فأدمجته في التعليق على الآيات أنفسها في المعنى العام، ليكون عونًا على الفهم الصحيح. وهذا مخالف لما انتشر في أغلب مطبوعات مختصرات التفسير، إذ أُلحق بحواشي الصفحات منها جميع أسباب النزول من كتاب «لباب النقول» للسيوطي، فكان فيه تكرار وبعثرة وتوزع اعتباطي للنصوص بأسانيدها، لا علاقة له بموطن تفسير الآيات المَعنيّة.

ها نحن أولاء قد رسمنا النهج المقصود واتّبعناه بالتزام وعناية، فوضعنا للإخوة الأحباب ما يعينهم ويقرب إليهم فهمًا مبسّطًا لمعاني أعظم كتاب، وفتحنا للمؤلفين والمفسِّرين سبيلًا بكرًا لا بدّ أن يكون فيه شيء من الخلل والقصور والمَعاب. فعليهم أن يضيفوا من جهودهم وملاحظاتهم ما يسدّد ذلك وينشئ خطًّا جديدًا في عالم التفسير، لينالوا أجر المجاهدين ويقدّموا للأُمّة بعض الوفاء والإخلاص والإكرام، وللأجيال ما يساعدها على يسر الاستفادة من تلاوة القرآن العظيم عبادة وعلمًا وعملًا وتوجيهًا. وعلى الله قصد السبيل.

حلب في ١ محرم لسنة ١٤٣٠

٢٨ كانون الأول لعام ٢٠٠٨

خادم القرآن الكريم والسُّنّة المطهّرة

فخر الدّين قباوة